Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الجهل بهذا التراث، حتى تنقطع الصلة بيننا وبين الأسلاف. ولن تنقطع هذه الصلة أبدًا بل ستظل محتدمة، وستحتدم معها عنايتنا بالعلم الغربى العصرى، لنؤدّى فيه نفس دورنا العلمى القديم، مهتدين بما كرره القرآن العظيم من تذليله الأرض للإنسان وتسخيرها لمنافعه فى مثل قوله جَلَّ ذكره: (هو الذى جعل لكم الأرض ذَلولاً فامشوا فى مَناكِبها وكلوا من رزقه) فقد جعل الأرض منقادة للإنسان يستغلها ويستثمرها ويكشف قوانينها دون أن تمتنع عليه أى صورة من الامتناع، ولم يذلل له الأرض وحدها، فقد ذلل له الكون كله كما جاء فى آية سورة الجاثية: (وسخّر لكم ما فى السموات وما فى الأرض جميعا منه) فكلّ ما فى الأرض وما فى السموات مسخر من أجل الإنسان ومن أجل منفعته ليفيد منه فى حياته. وكل ذلك معناه أن تراثنا لا يحمل أى عائق يحول بيننا وبين التعمق فى العلم الغربى العصرى، بل إنه يحمل ما يُشْعل فينا جذوة العلم، ويمدنا بوقود لا ينفد من هَدْى القرآن والحديث، ومن هَدْى الدور الذى نهضنا به فى تاريخ العلم العالمى.

٣

والحجة الثانية لخصوم التراث أن كثيرًا منه شروح وحواش وتقارير لا تحمل علمًا ولا ما يشبه العلم. ومن يقولون هذه الحجة لا يعرفون فيم نشأت التقارير والشروح والحواشى ولا ماذا تحمل من مواد المعرفة. وجدير بنا أن نتوقف قليلا لنعرف كيف نشأت هذه الظاهرة، وكيف شاعت فى عصر الحروب الصليبية والتتارية المغولية، فقد نشأت لغرض توضيح ما قد يكون فى نصوص بعض الكتب من إبهام. حتى إذا كانت حروب الصليبيين والتتار أحسَّ أسلافنا كأن تراثنا تتهدده الحرب ويُخْشَى من ضياعه أو سقوطه من يد الزمن، حينئذ رأوا من واجبهم أن يعملوا بكل ما يستطيعون على حفظه وأن يكفلوا له البقاء على وجه الدهر، فعَمَدُوا إلى تلخيص علومه وأصوله فى متون موجزة، ثم رأوا أن يشرحوها توضيحًا لمادتها العلمية، وأحسّوا أحيانًا أن ما كُتب عليها من بعض الشروح